عبدالله بن حذافة السهمي

مسرحية تاريخية من فصل واحد

د.محمد رفعت زنجير
- جامعة عجمان -

شخصيات المسرحية .

-الصحابي : عبد الله بن حذافة السهمي (رضي الله عنه).

- ملك الروم : قيصر .

- أسير يهودي .

- أسير فارسي .

- حارسان .

- أنطونيو أحد النبلاء .

- خدم وجنود ..

الزمان : السنة العشرون للهجرة ، أثناء خلافة أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب .

- المكان : سجن روماني .

«المنظر : سجن روماني ، يظهر فيه حارسان ، وثلاثة أسرى ، هم : أسير فارسي ، و أسير يهودي ، والأسير المسلم عبد الله بن حذافة »

(الحارسان على انفراد)

الحارس ١ : أبشر يا صاحبي ، لقد اقتنع أخيرا.

الحارس ٢ : أيهم ؟.

الحارس ١ : المسلم.

الحارس ٢ : أمتأكد مما تقول ؟.

الحارس ١ : إذا كنت متأكداً أني أمامك.

الحارس ٢ : حسناً ، رائع... والآخران ؟

الحارس ١ : الآخران غبيان لا جدوى منهما.

الحارس ٢ : حقاً ، لقد أدركت ذلك لأول وهلة.

الحارس ١ : هذا اليهودي ما يفتأ يتأوه ويبكي ، ويذكر تجارته وزوجته.

الحارس ٢ : والفارسي ؟

الحارس ١ : إنه لا يختلف عنه كثيرا .. الزوجة ، والمال ، والأولاد ، والوطن ... والنار أيضا ...

الحارس ٢ : إنه مجوسي .

الحارس ١ : ومتعصب جدا ...

الحارس ٢ : والمسلم ؟

الحارس ١ : انظر إليه .. الآن فرغ من صلاته .. إنه لا يتوقف عن الصلاة ، إلا ليتمتم بأشياء لا أعيها .. أو ليكلم هذين السجينين .

الحارس ٢ : بماذا ؟

الحارس ١ : لا أدري ، ولكني أرى على وجهيهما امتعاضا كلما سمعا حديثه ..

الحارس ٢ : أهو ثقيل إلى هذا الحد ؟

الحارس ١ : بالعكس تماما ..

الحارس ٢ : أمر غريب ...

الحارس ١ : حقا ...

الحارس ٢ : تعال نكلمهم .

(يقتربان من الأسرى الثلاثة)

الحارس ١ : هيه .. أيها اليهودي .. ألن تؤمن بعيسى كما آمن هذا المسلم .. ؟

اليهودي : لا ...

الحارس ٢ : أحمق .. إني لأستغرب كيف يجتمع جشعك وسجنك ....

الحارس ١ : هذا صحيح يا عزيزي ... فإما أن تتخلى عن جشعك ، وتقعد في السجن مستريحا ... أو تتنصر وتعود إلى مالك وزوجتك

اليهودي : لا هذا ولا ذاك ... أفهمتما ؟ كفا عن المحاولة .

الحارس ١ : لقد دفعنا لك مئة دينار مقابل أن تتنصر ، ورفضت .. كم تريد ؟ ا..؟ أتظن أنك تساوي هذا المبلغ ؟

الحارس ٢ : إنه جشع ، لربما كان يبغي ألفا أو أكثر ... معنى هذا ، أنه سيقاسمنا الجائزة ..

الحارس ١ : ألم أقل لك ؟ دعه ، إنه يهودي ، لا فائدة من الحديث معه ...

(يقتربان من الفارسي)

الحارس ٢ : إيه .. وأنت أيها الفارسي المجوسي ، ألن تأخذ مئة دينار . وتتنصر ، وتعود إلى أهلك وبلدك ؟

الفارسي : لا

الحارس ١ : إن دماغك ليس أقل جفافا من دماغ اليهودي صاحبك .. قل لي : هل أنتما أخوان ؟

الفارسي : لا

الحارس ٢ : نعرف هذا يا غبي .. ولكنه سؤال تهكمي ! وما أظنك تعرف معنى تهكمي .. لكن قل لي : لماذا لا تؤمن بعيسى ، وهو مخلص العالم ، إنه ابن الله .. أتعرف معنى هذا ؟

الفارسي : أنا لا أؤمن بغير النار إلها . هذا دين آبائي ، ولو كان هناك دين خير منه لاعتنقه كسرى المعظم.

الحارس ٢ : إن كسرى ليس أقل غباء منك يا صديقي .. إن النار التي تعبدونها أستطيع إطفاءها برش الماء عليها .. هذا إن لم أقل شيئا آخر ، لا يليق بمركزي المحترم .

الفارسي : إن النار التي تشتمها أنت خساسةً وغباءً ، هي روح الوجود ، وأقوى ما فيه .. قل لي : لو اشتعلت النار بالسجن ،ألا تركض أنت مذعورا مثل فأر حقير .. ولو أنك عدت إلى بيتك اليوم فوجدته محترقا بما فيه ، فماذا عساك تفعل .. وماذا يفيدك ماؤك والشيء الآخر أيها المحترم ؟

الحارس ١ : دعه ياعزيزي .. ألم أقل لك إنه لا يختلف عن صاحبه اليهودي .. ؟

(ينصرفان الى المسلم)

الحارس ٢ : وأنت ،أيها المسلم .. ما اسمك ؟ اعذرني ، فهذه هي المرة الحادية عشرة والأخيرة ، التي أسألك فيها عن اسمك ..

عبدالله : لا ، ستسألني فيما بعد ، فقبل الآن ، أتيت تقول لي هذه هي المرة العاشرة والأخيرة التي أسألك فيها عن اسمك .. اسمي عبد الله بن حذافة السهمي ..

الحارس ٢ : لا تؤاخذني ، فأنا كثير النسيان هذه الأيام. إن الذين يتحملون واجبات كثيرة ، ينسون كثيرا .. ولكن قل لي : أحق ما قاله صديقي ؟

عبد الله : وماذا قال ؟

الحارس ٢ : بأنك آمنت بعيسى ؟

عبد الله : أنا مؤمن منذ آمنت بمحمد .

الحارس ٢ : ما محمد ، ألم تكفر به ؟

عبد الله : كيف أكفر به وهو الذي هداني إلى الإيمان بالله ؟.

الحارس ٢ : إذن ، فأنت لم تتنصر ؟

عبد الله : لا ..

الحارس ٢ : (للحارس١ على انفراد) هل خدعتني ؟

الحارس ١ : كنت أظنه تنصر حين قال إنه يؤمن بعيسى ، الآن يقول : لا .. هذالم أفهمه ..

الحارس ٢ : ولا أنا .

الحارس ١ : والعمل ؟

الحارس ٢ : أخشى أن تضيع علينا جائزة قيصر ؟

الحارس ١ : اسمع ، إن قيصر يريده أن يؤمن بعيسى ، ويكفر بمحمد ، أليس كذلك ؟

الحارس ٢ : بلى ..

الحارس ١ : ونحن جعلناه يؤمن بعيسى فقط ، وبذلك ننال نصف الجائزة .. إنها تكفينا على أية حال .. ؟

الحارس ٢ : أتظن غباءك ينطلي على رجل عاقل ، حتى ينطلي على قيصر .. اسمع لو أنك ذكرت له ما قلته لي فسيكون له أحد موقفين ..

الحارس ١ : ما هما يا صديقي ؟

الحارس ٢ : إما أن يضحك حتى يستلقي على قفاه،

ثم يضمك إلى فرقة المهرجين ..

الحارس ١ : وإما .. ؟

الحارس ٢ : أن يأمر بقطع رأسك ..

الحارس ١ : إذن لا فائدة .. والجائزة ضائعة لا محالة !

الحارس ٢ : هناك حل وحيد لدينا .. أو محاولة أخيرة قبل أن يصل قيصر ، وهو واصل بعد قليل ..

الحارس ١ : كيف ؟

الحارس ٢ : تعال معي (يقتربان من عبد الله).

اسمع يا عبد الله .. هذه المرة لم أنس اسمك .. إن الوقت أصبح الآن كالسيف ، وهو فرصتك وفرصتنا ولن نكتمك الأمر ... إن قيصر قد وعد بجائزة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يستطيع تنصير واحد من أصحاب محمد ... ونحن مستعدون أن نقاسمك الجائزة ... لك النصف ، ولكل واحد منا الربع ... وهي فرصتك الأخيرة، وإلا فلن تلقى مصيراً غير الموت ... ماذا قلت ؟.

الحارس ١ : لا شك أنه اقتنع ... إنه شهم وعاقل ، وينظر بعيداً ... ولن يستطيع مواجهة قيصر على أية حال ...

عبدالله : لو دفعتما المبلغ كله ، ما تركت ديني.

الحارس ١ : تريد أكثر من عشرة آلاف ؟ ومن أين نأتيك بما تريد ؟

الحارس ٢ : اسمع يارجل ... ياعبدالله ... لا تكن غبياً كاليهودي والمجوسي ... حين ترفض عرضنا فستموت قسراً ... دون أن يدري بك أحد ، إن أكثر الناس يموتون في سبيل لا شيء ، وهم يحلمون بالبطولة...

الحارس ١ : ترفض خمسة آلاف دينار ؟ مقابل كلمة ؟ أخبرني كيف يكون الجنون ؟

عبدالله : حين نزن الإيمان بالباطل ، نكون دخلنا بابه.

الحارس ٢ : أتظن دينك يختلف عن غيره ؟

عبدالله : هذا يحتاج إلى عقل قادر على الحكم ...

الحارس ٢ : وتستعلي علينا أيضاً ؟

عبدالله : بل أضعكما أمام نفسيكما ...

الحارس ١ : أقسم بأني لم أفهم شيئاً مما يقول هذا الرجل ... اسمع ياعزيزي ، أعطني مئة دينار ، وأعتنق أي دين تريد.

عبدالله : (يضحك).

الحارس ٢ : اسمع يا سيدي ... قد تكون غنياً لا تعبأ بالمال خلافاً لغيرك من الأغنياء ... قد تكون يائساً بائساً تنتظر الموت ، قد تكون واقعاً تحت سيطرة فكرة خرافية تجعلك كالمهووس ... لكن الأمر يختلف تماماً بالنسبة لنا .؟

عبدالله : وماشأني أنا ؟

الحارس ٢ : لا ... هذا لا يجوز أبداً ... أن تفكر بنفسك فحسب ، بهذا الشكل المرعب ... إن صدق أي دين يكمن في مدى ما يقدمه للآخرين ...

عبدالله : أنا لا أبخل بشيء على أحد ... إلا ديني ، فهو ليس موضع مساومة.

الحارس ١ : يارجل ... كن عاقلاً ... كن رحيماً ... آه ... ماذا أقول لك ...؟ إن الجائزة مسألة مصير بالنسبة لنا نحن الاثنين ... إن عليّ ديوناً لا يعلمها إلا الله ، الذي تؤمن به أنت ، أو أؤمن به أنا .

الحارس ٢ : وكذلك أنا ، إن عليّ التزامات كثيرة ، ومطامح أكثر ، ولدي زوجة لاحدود لطلباتها ... يجب أن تقدر هذا كله ، مقابل كلمة تقولها ، وتعود عنها متى أردت ... المهم أن تقولها مرة واحدة أمام قيصر ... ماذا قلت ؟

عبدالله : لوكان لدي من المال ما يسد رغبة كل منكما لفعلت ، ولكن ...

الحارس ١ : ياسيدي ، ليس هذا وقت فلسفة ، قل : موافق ، وخلصنا ...

عبدالله : لا.

(يسمع صوت بوق من الخارج)

الحارس ٢ : لقد ضاعت الفرصة ، وأتى قيصر ... هل سررت أيها الغبي؟

(يدخل قيصر ، والنبيل أنطونيو ، وحرس)

قيصر : (للحارسين ١ ، ٢) اخرجا ...

الحارسان ٢،١ : أمر مولانا العظيم (يخرجان) .

قيصر : (للأسرى) هل أعجبكم المهرجان؟ لقد أرسلتهما لتسليتكم ...

عبدالله : لقد قاما بمهمتهما على خير وجه.

قيصر : أيكم من أصحاب محمد؟

عبدالله : أنا....

قيصر : واليهودي ؟

اليهودي : أنا يا مولاي.

قيصر : (للفارسي) وأنت المجوسي بالطبع ...

الفارسي : نعم يا مولاي...

قيصر : حسناً ، الآن ستبدأ لعبة المبارزة ، بين الموت والحياة ، (لأنطونيو) ما رأيك أن نبدأ بالمجوسي يا أنطونيو...؟

أنطونيو : كما تحب يا مولاي.

قيصر : (للفارسي) عليك أن تختار حالاً ، إما أن تتنصر وتأخذ ألف دينار ، وتعود إلى أهلك ووطنك ، أو أن تموت ...

الفارسي : مولاي ... من الصعب على المرء أن ينخلع من دينه ..

قيصر : ولكن ذلك ليس أصعب من الموت على أية حال.

الفارسي : لو تنصرت لخنت ضميري ، والموت بشجاعة ، خير من حياة الخيانة...

قيصر : كما تريد ... مَنْ إلهك ؟

الفارسي : النار المقدسة .. ، قوة الكون العظمى...

قيصر : لو فكرت قليلاً ، بعيداً عن أوهامك ، لرأيت أن النار التي نصنعها بأيدينا ، ونطفئها بإرادتنا ، ونحرق فيها واحداً من عُبّادها ، هي أقل من أن تكون إلهاً ... (لأنطونيو) قل لرجالنا أن يشعلوا النار يا أنطونيو ...

أنطونيو : أمر مولاي.

(توقد النار)

قيصر : ألقوا فيها هذا المجوسي!.

(يقربونه منها)

الفارسي : مولاي ...

قيصر : هل تراجعت ؟

الفارسي : لا ... ولكني أقبل أي موت غير الحرق.

قيصر : عجيب ... إنها إلهك ، أترفض الاندماج بها؟ إننا نحقق لك أمنية كنا نظنها أغلى على قلبك مما نرى...

الفارسي : مولاي ، أرجوك...

قيصر : قيصر لا يرتجل الأوامر. حتى يتراجع عنها بسهولة ... الفرصة انتهت ... وعليك أن تقول كلمتك الأخيرة...

الفارسي : لا أطيق الموت بهذه الطريقة يا مولاي.

قيصر : (لأنطونيو) نصروه وأعطوه ألف دينار ، وخلّوا سبيله...

أنطونيو : أمر مولاي.

(يأمر رجاله فيخرجون الفارسي)

قيصر : (لليهودي) وأنت ؟ تموت أم تأخذ ألف دينار ، وتتنصر ؟

اليهودي : أنا لا أترك ديني مهما كانت النتيجة.

قيصر : ياعباد العجل والذهب وأية حياة ... ألم يكفك ألف دينار ؟ حسناً خذ ألفين ...

اليهودي : لا ، يامولاي....

قيصر : اسمع ، هذه هي فرصتك الأخيرة .... أنا أعرف أنك تساومني ، وأنكم أبالسة المساومات ، لكن ، لن أدعك تحقق ماتريد، إلا في حدود إرادتي .. إني أعرض عليك عشرة آلاف دينار والنصرانية ، أو أي ميتة تختارها أنت...

اليهودي : أنا لا أريد الموت ، لا أحبه ، أكرهه يامولاي ...

قيصر : (لأنطونيو) تول أمره ...

أنطونيو : أمرك مولاي ...

(يأمر رجاله فيخرجون اليهودي)

قيصر : (لعبد الله) وأنت أيها المسلم ، ما اسمك؟

عبدالله : عبدالله بن حذافة السهمي .

قيصر : وهل أنت من أصحاب محمد.؟

عبدالله : نعم.

قيصر : أظن أنه قد كان لك عبرة بالمجوسي واليهودي ... وإن عليك أن تختار ، والأمر ليس هزلاً هذ ه المرة... يجب أن تنتصر إرادة قيصر .. أفهمت؟

عبدالله : .....

قيصر : أتأخذ عشرة آلاف دينار وتتنصر ، وتعيش عندنا معززاً مكرماً أو تختار لك ميتة شنيعة ؟

عبدالله : أعترف بأن طعم الموت مر ، ولكنه حين يكون في سبيل الله ، يصبح أمنية ، أو حلماً ...

قيصر : عرب ، تحبون الشعر ، وتجيدون حبكه ...

عبدالله : بنفس الدرجة التي نجيد فيها الحرب والسلم...

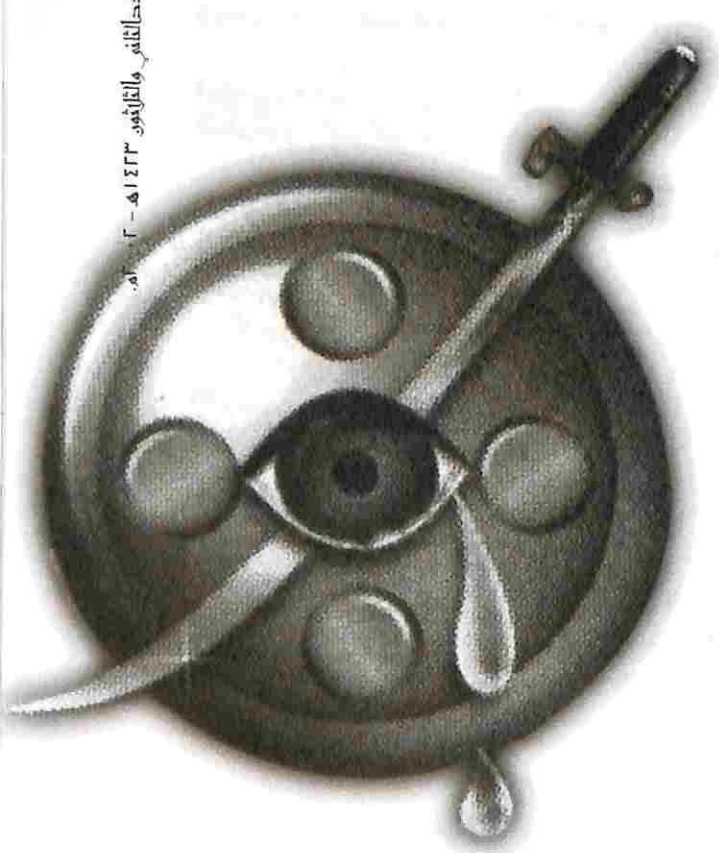

قيصر : تذكرني بمعركة اليرموك إذن؟ أتظن كسب جولة يعني نهاية كل شيء ؟ لا ... إن الزمن لن يخمد نار الثأر في صدورنا. وها أنت ذا أسير لدينا مع عدد كبير من أصحابك...اسمع إذا أنت اخترت الموت ، فلن تكون أكثر من حيوان يموت في الصحراء ... لن يسمع بك أحد ... وحتى ذكر البطولة ، الذي قد يراودك الآن... لن تناله ، أفهمت ؟

عبدالله : لا يهمني شيء مما قلت ...

قيصر : تؤدي واجبك فحسب . أليس كذلك ؟

عبدالله : أنا أنسجم مع عقيدتي .. لوكانت الحياة مع الكفر أحب إلي من الشهادة في سبيل الله ، لم أكن جديراً بدخول الإسلام.

قيصر : كلكم تراوغون على نحو ما .. ولكنك أبرعهم ولا ريب. لذلك كنت الأخير في الترتيب أيها البدوي الخبيث. اسمع ، أعرض عليك مائة ألف دينار....

عبدالله : ديني ليس موضع مساومة أيها الملك ... ولو كان المقابل مال الدنيا ...

قيصر : ليس لدي مال الدنيا ... ولو كان عندي ما عرضته عليك ...

عبدالله : ولو عرضته عليّ ما قبلت.

قيصر : إذن ، فالموت ... (لأنطونيو) أنطونيو .... أحضروا قدر الزيت المغلي ...

أنطونيو : أمر مولاي.

(يأمر الجنود فيحضرون قِدْراً كبيراً من الزيت المغلي)

قيصر : هاتوا أسيراً مسلماً.

أنطونيو : أمر مولاي.

(يحضرون أسيراً من زنزانة أخرى)

قيصر : (للأسير المسلم) أتترك دينك إلى ديننا أم نلقي بك في هذا الزيت المغلي ؟!

(الأسير ينظر إلى عبدالله ، الذي يرفع يديه إلى السماء ويقول : ثبته يارب)

الأسير : إن الشهادة في سبيل الله هي المطمح الذي كنت أبحث عنه ...

قيصر : (ساخراً) وقد وجدته الآن في الزيت المغلي ، أليس كذلك ؟ ألقوه فيه.

(يلقونه ، وهو يقول بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وينفصل لحمه عن عظمه ، عبدالله يشيح بوجهه ، الذي بدت عليه علائم ألم لا حدود له) .

قيصر : قربوا عبدالله من القدر . (يقربونه) انظر (ينظر) ما رأيك ؟

عبدالله : لا أظنه يختلف كثيراً عن رأيك ؟

قيصر : وحوش.. أليس كذلك ؟

عبدالله : لا .

قيصر : أحط منها ؟

عبدالله : بكثير...

قيصر : ألقوه في الزيت المغلي ...

(يقربونه منه ، فيبكي)

أنطونيو : إنه يبكي يا مولاي...

قيصر : ردّوه.

(يردّونه)

قيصر : هيه ... هل تراجعت ؟

عبدالله: لا ...

قيصر : (يغضب) فما الذي أبكاك ؟

عبدالله : بكيت ، لأني لا أملك سوى نفس واحدة أجود بها في سبيل الله ، ووددت لو كان لي من النفوس بعدد شعر جسمي لأبذلها جميعاً في سبيل الله ...

قيصر : (متأملاً ، متأثراً) ماهذا يا أنطونيو ؟ أيمكن أن يكون هذا الرجل بشراً ..

أنطونيو : ... يا للعجب!

قيصر : أنا لم أقابل رجلاً مثله قط... (لعبدالله) اسمع يا عبدالله : من العبث أن أخفي إعجابي بك ... إني أعرض عليك نصف ملكي ، وأعدك أن تكون ملك الروم بعدي ، وأزوجك ابنتي ، على أن تتنصر.

عبدالله : لو عرضت عليّ الدنيا ما تركت ديني أيها الملك...

قيصر : الآن أصدقك ... اسمع ، إذا قبلت رأسي أطلقت سراحك...

عبدالله : وسراح جميع الأسرى المسلمين ؟

قيصر : لك ما تريد...

(يقترب عبدالله من قيصر ويقبل رأسه)

قيصر : أطلقوا سراح جميع الأسرى المسلمين.

(لأنطونيو) لوددت لو كان في رجالي رجل واحد كأصحاب محمد.

عبدالله : بإمكانك أن تجعل جميع رجالك كأصحاب محمد أيها الملك.

قيصر : كيف ؟

عبدالله : بأن يصبحوا مسلمين.

(ستار)